

الزواج بالأجنبيات لدى العبريين القدماء واليهود حتى القرن السادس الميلادي

أ.د. سوزان السعيد يوسف^(*)

مقدمة

ظهر ضمن تطور الثقافة العبرية الحديثة توجه يكشف عن محاولات التقرب من الثقافة العربية المحلية في فلسطين خاصة في الفترة الأولى من الهجرة الثانية. فخلال الهجرتين الأولى والثانية نجد جماعات من الطلائعيين تستخدم عناصر وأشكال من الثقافة العربية المحلية مثل العادات والملابس والأدوات والطعام و التراكيب اللغوية بهدف تشكيل ثقافة عبرية محلية . فقد كان المستوطنون يتطلعون الى أن يتكيفوا مع نمط الحياة البدوي وكان هذا يمثل تعبيرا ظاهرا على التحول الكبير الذي سيطر على اليهود بعد الانتقال من الشتات الى فلسطين وظهر من القصاصين من أكد على الأصل المشترك السامي بين اليهود والعرب مؤكدا على ضرورة الالتقاء بالثقافة العربية ، وأبدت الثقافة العبرية اعجابها بالبدو بسبب ما اعتبرته تشابها موجودا بينهم وبين الشخصيات التوراتية^(١)

وقد أثارته هذه الاتجاهات غضب عرب فلسطين واعتبروها محاولات لسرقة التراث العربي ، خاصة أن معظم هؤلاء القادمين الى فلسطين كانوا من اليهود الأشكنازية وليس لديهم أي فهم للعادات و التقاليد العربية واثارت تصرفاتهم سخط وسخرية الأهالي المحليين .

* - سوزان السعيد يوسف موسى .أستاذ علم الفولكلور بأكاديمية الفنون .

وقد اعتمد هذا التوجه الثقافي اليهودي على نظرية الأصل العربي للثقافة العبرية، باعتبار أن بلاد العربية كانت الموطن الأصلي لكل الهجرات السامية التي زحفت تجاه الشمال والى بابل. ويرى العالم Jon Jeremiads أن دراسة القانون العرفي في البلاد العربية القديمة قبل الاسلام فى زمن السيد المسيح يقودنا الى نتائج عن الأصل العربي لقانون حمورابي وقانون موسى. وشرح شلو تزر أن الاعتبارات التاريخية و اللغوية تؤكد أن هؤلاء الساميون المهاجرون ينتمون الى الساميين الشماليين وبدقة أكثر الى أولئك الذين يسمون لغويا بالكنعانيين (اللغات: الفينيقية، المؤابية العبرية).

ولكن المعلومات اللغوية عن تلك الفترة غير واضحة ونظرية الأصل العربي للدولة البابلية الأولى، تعتمد على أن بلاد العرب كانت مهدا لموجات من الهجرات السامية المتعاقبة التي زحفت تجاه الشمال والى بابل، وقد تبين ذلك بالرجوع الى الآثار العربية فى النقوش القديمة..

وبحث العالم صموئيل عن التأثيرات العربية على اليهود. والعالم مونتجومري Games A. Montgomery فى كتابة العرب واليهود " ناقش هذه النظرية وكذلك العالم مكدونالد Dan can Black MacDonald فى كنية "العبرية الأدبية العبرية" الذى اعاد نشرة تحت عنوان "علاقة الأصل العربي بإسرائيل وعقيدتها" وقد ناقش هذا الكتاب D. S Margoles. فى كتاب "محاضرات عن العرب وإسرائيل قبل الاسلام"^(٢)

ان هذه النظرية بدون شك صحيحة، ومع ذلك لا يجب أن نتسرع فى قبولها، فرغم التشابه فى حياة البدو الاجتماعية، الا أن هناك فروق أساسية بين البدو العرب والبدو العبريين. فاذا عدنا بالتاريخ الى عام ١٤٠٠ ق.م نجد أن المؤرخ منتون الذى أرخ لهذه الفترة يرجع الى العصر البطلمى. ونجد بعض النقوش التي تشير الى مصر و الى ممالك ميثان، مثل نقوش آشور و بابل قد امتدت عبر فترات طويلة. ولذلك من المتوقع أن يجد المرء تغيرا واضحا فى اللغة والخطوط القديمة. فنقوش ميثان الملكية القديمة وثيقة الصلة بالسبائين القدماء ونقوش ملوك سبأ تقليدا متأخرا. وهناك فرق شاسع بينها يرجع الى أصل

حروف الهجاء، إلا أن قضية تاريخ المملكة العربية يدور حولة. ونقش ميطان معروف أنه مقتبس من نقش حروف هجائته كنعانية، والنظرة المجردة له توضح التحريف غير العادي الذي حدث له. ومن المعروف أن العرب كتبوا سجلاتهم العامة بالفارسية أو الاغريقية، أو القبطية، في الكوفة ودمشق على وجه الخصوص حتى عرف استخدام اللغة العربية^(٣) ورغم ذلك فإن المصادر الأدبية الشفاهية قدمت صورة واضحة عن حياة العرب قبل الاسلام وحياة العبريين القدماء.

سيحاول هذا البحث أن يوضح الفروق بين ثقافة البدو العرب والبدو العبريين في عادات الزواج، ونظرتهم الى الزواج من خارج العشيرة، فرغم تشابه العرب والعبريين في تفضيل الزواج من داخل العشيرة إلا ان الدوافع الى الزواج بالأجانب اختلفت لدى كل من العرب والعبريين وذلك من خلال دراسة الأعراف والتقاليد الشفاهية والشرائع المدونة. ثم يشرح تطور الشرائع اليهودية عن الزواج بالأجنبيات حتى عصر تدوين التلمود.

التشريع اليهودي

التشريع اليهودي كان تطوراً تدريجياً للممارسات البدائية في الصحراء، ولم تأخذ شكلها الحالي حتى بعد النفي البابلوني. وقانون موسى ارتكز على العقائد والتقاليد القديمة في الحياة اليومية، والتقاليد المتوارثة التي يتناقلها جيل بعد جيل وتستمر محفوظة شفاهية دون كتابة، وهذه التقاليد الموروثة تتنوع في الاستخدام وينظر الى نفس الموضوعات بوجهات نظر متنوعة بتنوع المجتمعات. فالساميون بعضهم بدو، وبعضهم بدو استقروا في أطراف المدن، أو بدو استقروا في المدن وعملوا بالزراعة الى جانب الرعي أو تركوا حياة الرعي وتحولوا الى الحياة المدنية وعملوا بالزراعة والتجارة. ولذلك كانت بينهم اختلافات في التنظيمات الاجتماعية والثقافة و في الدين والاقتصاد. وقد أدى هذا الى تنوع العادات القبلية، ولكن الوحدة التدريجية بين هذه العناصر المختلفة واقامتهم في مكان جغرافي واحد أدت الى امكانية دمج التقاليد المختلفة وقد طبعت هذه التقاليد بطابع السلطة المقدسة، ومن هنا أصبح لها سلطة القانون الحازم، وأصبحت أساس التشريع.

والنظرية اليهودية ترجع أصل التشريع الى "يهوه" (أذوناي) الذي أوحى بالشرية الى موسى . مثل الالة "شمس" الذي أوحى بالشرية الى حمورابي .ولا يوجد أي سبب يجعلنا نفترض أن حمورابي قد قدم سلسلة من الاختراعات الجديدة في التشريع والقانون . والتراث اليهودي كان أيضا يتضمن أحوال متنوعة لم يكن لها وجود سابق، وفي نفس الوقت بعض التشريعات كانت تحتفظ بالكيان القديم لتشريعات البدو في الصحراء. بعضها ذكر في أسفار موسى الخمس ،والآخر في أسفار الأنبياء ،وبعض القوانين ذات طابع كهنوتي يعكس خلفيات ترجع الى أيام النبي . وبعض الأسفار (الكتب) لها طابع مركب بسبب الاختلافات بينها وبين أسفار العهد القديم^(٤) .

وينقسم العهد القديم الى : أسفار تاريخية ،أسفار أدبية، أسفار ذات طابع تشريعي . وقد كشف هذا النوع عن تطور في تاريخ التشريع اليهودي، فقد تطور في أربعة فترات مميزة كالآتي:

١- كتاب العهد (الخروج ١٧ و ٢٠ و ٢١ و ٢٣ و ٢٥) هو أقدم قانون مدني في العهد القديم . ومن البحث تبين أن القوانين تنتمي الى شعب زراعي تعتمد ثروته على الماشية ، والمحصول ،وقد كانت النقود معروفة أيضا ،وأساسهم القانوني هو نفس الأساس القانوني لسكان الصحراء اليوم ،وهو قانون الثأر والقصاص وهو "العين بالعين والسن بالسن" ولا توجد عقوبات بالعزل أو الطرد أو الحط من المنزلة الاجتماعية .والنساء لم يكن متساويات مع الرجال ولكن مثل العبيد لهن بعض الحقوق المحدودة.

ولم يكن هناك مكان للمحاكمة ،وكان الرجال يلجؤون الى أي مزار مقدس أو معبد طلبا لأي فتوى . والتركيب الاجتماعي لكيان المجتمع فيه كثير من البساطة .وهناك قوانين اخرى أصبحت أكثر تعقيدا ،ويمكننا أن نتبع النهضة الاصلاحية الكبيرة الت تعكسها أدب الوصايا العشر .

ويعتبر فلهوازن من أشهر الكتاب في نقد العهد القديم ،وقد كتب ما لا يقل عن سبعة كتب عن العرب القدماء ،وعن عصر ما قبل الاسلام ،وهو يفترض أن قدماء العرب قد أعطوا

تمثيل لحياة العبريين .وقد أخذ العالم الاسكتلندي روبرت سميث ” W.N. Smith نفس هذا الاتجاه في كتابة "القراية والزواج عند العرب القدماء" وفي كتابة "محاضرات عن الديانة السامية". وكان العالم الألماني فنكل Winkler من أكثر العلماء الذين تبنا نظرية الهجرات المتوالية للجماعات السامية الخارجة من الجزيرة العربية، وأكد أعمال فلهوازن وسميث، واعتبر العبريين قبائل نبتت من الصحراء العربية. وقد شرح العالم العربي ابن خلدون أن البدو في كل مكان يقيمون على حدود الحضارات المجاورة. ولذلك كان غير عملي أن نتصور حياة العبريين الذين يعتمدون على حضارات الشرق القديمة طبقا لعادات ومعتقدات القبائل العربية قبل الاسلام لأنهم كانوا محاطين بحضارات مختلفة والدراسات التي قام بها Aloes Musial Bertram Phil by Lawrence ترى أن العبريين كانوا قبائل شبة بدوية رحالة يرعون الأغنام والقطيع. وهم يختلفون عن الرحالة الدائمون الذين يعيشون داخل الصحراء على تربية الجمال. وقد تحول العبريين بعد عصر القضاة الى شعب زراعي، ولكن نظيراتهم القبلية ليست قاصرة على الصحراء فتوجد تنظيمات قبلية أيضا داخل المدن.

٢- تطور القانون في عهد يوشيا (٦٢١-٦٢٣ ق.م)

في فترة الاصلاح في عهد يوشيا تميزت بالمذهب العملي. وأول آثارها تبدأ في الظهور في المصدر الالوهيمي الذي من مميزاته الهامة تأسيس معبد منفرد في اورشليم، وكان الهدف من اقامة هذا المعبد هو تركيز العدالة وحماية القوانين الشرعية، وأصبح التقنين الشامل للقوانين ضروري والقانون في هذه الفترة يظهر في سفر الشثية.

ولكن الفحص الدقيق لمحتويات هذه القوانين يوضح أنها استخلاص من مجموعة قانونية أكثر قدما ، ومن المحتمل أن العديد منها كان مكتوب قبل صياغة سفر الشثية. والقوانين القديمة التي لم تتضمن في القانون القديم لسبب أو لآخر قد ظهرت لأول مرة في هذا القانون. والنظام التنفيذي في هذا القانون أكثر تقدما. وبدأ نظام القصاص يختفى ويظهر شكل جديد من العقوبات مثل الجلد على الأقدام. والتعويضات التي كانت تحدد طبقا

للعرف أصبحت محددة مثل قانون حمورابي الذي حدد قيمة التعويض . وهذا يعكس التغيرات الاجتماعية .

وقانون تشيية الاختراع له مقدمة تاريخية ، واشتمل على مجموعة من البركات وسلسلة من اللعنات ، وهو يقدم نظام عملي وعادل للشيعة . وهناك رأي يقول أن سفر التشيية هو نفسه سفر العهد الذي ورد الاشارة عنة في سفر الملوك الثاني ، وأنه ظهر في السنة الثانية عشر للملك يوشياة أي تقريبا ٦٢٣ ق.م

٣- سفر حزقيا (نهاية القرن السادس وبداية القرن الخامس ق.م)

تطور التشريع في فترة النفي البابلي ويمكن ملاحظة هذا التطور في سفر حزقيا . فقد اعيد كتابة التاريخ المبكر من وجهة نظر الكهنة في نهاية القرن السادس والقرن الخامس ق.م وكان هدف الكهنة الرئيسي هو وصف الأصل المقدس للقوانين اليهودية . وتشريعات سفر اللويين قد ذكرت طقوس دينية رفيعة الشأن خاصة القوانين التي يطلق عليها قوانين القداسة (اللاويين ١٧-٢٦) . وهذه المجموعة الهامة ترجع الى عصر النفي ، وبالرغم من أن بعض المصادر التي ترجع الى عصر مبكر ، خاصة السفر التاسع عشر الذي ينظم الحياة الاجتماعية والاسرة ، تستمد عناصرها من الوصايا العشر والقرارات التشريعية في عصر الملكية ومن مجموعة التقاليد التي تتبع في الحياة اليومية^(٥) .

٤- القانون الشفاهي (٢٠٠ ق.م)

قوانين موسى قد نوقشت بشمول وفسرت نصوصها طبقا للظروف المتغيرة للديانة اليهودية . وقد أصبحت كثير من القوانين الشرعية سارية المفعول منذ النفي البابلي ، وكانت قبل ذلك من قبيل العرف السائد . وهذا التشريع القانوني (القانون الشفاهي) طبقا للنظرية اليهودية وصل شفاهي مع الاسفار الخمس . وقد تم تدوينه بواسطة الحاخامات بعد سقوط أورشليم (حوالي ٢٠٠ ق.م) .

والمشنا بدورها قد أعطت موضوعات للمناقشة دوت في الجمارا وفي المدراس وفي السوفريم واستمر التدوين حتى عصر الهلخاة . فالمشنا كانت موضع مناقشات كثيرة في

فلسطين وبابل ، اسفرت هذه المناقشات عن كتابة التلموديين الفلسطينيين والبابلي . والتلمود هو امتداد للمشنا بعد الاضافات والتعليقات المختلفة. حيث أن المدارس التلمودي اعتبرت المناقشات الشفاهية هدفها الأساسي التفسير والشرح^(٦).

وبالرغم من أن التلمود بنى أساسه القانوني على أسفار موسى الخمس، إلا أنه من وجهة نظر التاريخ التشريعي وأهميته القانونية اعتبر تكويننا مستقلاً. فأساس التلمود قد بنى على القصص التشريعية. فقد أراد الحاخامات ان يوقفوا ما بين الحفاظ على الجوهر الإلهي للشريعة من جهة ، وهضم التغيير الاجتماعي من جهة اخرى، فأعادوا تفسير التوراة في المدارس. أي تفسير النصوص بعيداً عن معناها الحرفي، وأدى هذا الى انبثاق التفسير الحاخامي الذي نتج عنه موروث تفسيري ضخم ومعقد بمادته وأدواته يعرف بالمدراش. وفي هذا التفسير يقف المفسر موقفاً متعالياً على النص الذي يفسره حتى وان كان نصاً مقدساً أي القراءة الانتقادية والتأسيسية للنص. ويلجأ الى شرح النصوص عن طريق القصص والشخصيات الأسطورية.

فلم يهتموا بالأحداث التي يمكن تدوينها بدقة ولكن حاولوا تشكيل شخصيات نموذجية مقدسة كانت قد دعمت حقيقة المعلومات التأسيسية المكونة لكل التراث بشكل أقوى مما فعلته المعطيات والأحداث التاريخية الواقعية التي حصلت بالفعل. ومثل هذه الروايات المكتوبة أو الشفهية قد غذت التراث الشعبي وتغذت منه.

الزواج اليهودي:

كانت عادة الزواج من الأقارب عادة مفضلة وخاصة من أقارب الأب (الأسرة الأبوية). فقد كانت سارة أختنا لابراهيم من أبية ، وتزوج اسحق من ابنة عمه بناء على نصيحة أبية . فقد ذكر سفر التكوين ٢٤ الطريقة المثالية لاختيار الزوجة من وجهة النظر العبرية كالاتي:

"وشاخ ابراهيم وتقدم في الأيام وبارك الرب ابراهيم في كل شيء. وقال ابراهيم لعبدة كبير بيته المستولى على كل ما كان له ، ضع يدك تحت فخذي فأستحلفك

بالرب الة السماء والة الأرض أن لا تأخذ زوجة لابنى من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم بل الى أرضى والى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لأبنى أسحق" وفى هذه الحالة انتقلت العروس من بلدها حيث تعيش أسرة ابراهيم لتعيش مع أسرة اسحق فى أرض كنعان . وكان الزوج فى بعض الأحيان ينتقل الى أسرة الزوجة (نظام الأمومة) ويعتبر كابن لوالد الزوجة خاصة اذا كان حماة ليس له أبناء ذكور كما حدث فى زواج يعقوب من ابنة خالة. فقد جاء فى التكوين ٢٨ وصف لهذا الزواج كالاتي: " فدعا اسحق يعقوب وباركة وأوصاه وقال له لا تأخذ زوجة من بنات كنعان ، قم اذهب الى فدان آرام الى بيت بتوئيل أبى أمك وخذ لنفسك من بنات لإبان أخي أمك"

ويمنع الزواج من المحارم من جهة عائلة الأب وكذلك من جهة عائلة الأم وهذه المحارم اما أن يكون قد نص عليها فى الأسفار الخمس وفى هذه الحالة لا ينعقد العقد ولا يحتاج الى طلاق . والنوع الثانى من المحارم التى حرمها الحاخامات ولم تذكر صراحة فى التوراة^(٧) ويحرم زواج اليهودى من غير اليهودية وقد حارب رؤساء اليهود هذا الزواج واعتبروه السبب فى انحراف اليهود فى فترة السبي وقد حرمت التوراة الزواج من سبعة شعوب حتى لو تهودت المرأة وان كان هذا التحريم غير صارم بالنسبة للزواج من المصرى فنسل المصرى يدخل الجيل الثالث منة الى الجماعة^(٨)

ويحرم الزواج من سبعة شعوب هم الحيثيين، الجرجاشيين، الأمريين، الكنعانيين ، الغريزيين، الحوريين، البوسين (التثنية٧ : ١-٣، ٢ : ٢٣). وهذه المحارم قد عدلت عما كان فى زمن العهد القديم خاصة فى عهد يوشياه فى سفر تثنية الاشرع الذى اخذ إجراء صارم ضد الزواج بالأجنبيات . وبعد السبي البابلي حين أمر عزرا بتطليق الزوجات الأجنبيات وطرد أولادهم .

الأبناء الشرعيين هم الذين يولدون من علاقة الزواج الشرعي ،أما الابناء غير الشرعيين فهم نتيجة لنوع من الزواج الحر أو المدنى .ووضع الابناء من هذا الزواج مثل الابناء الشرعيين .أما ابن الزنا (ممزير) بمعنى مبعد أو مقصى هو الذى يولد من المحرمات شرعا

سواء المذكورة في التوراة أو التي حرمها الحاخامات .وبذلك يكون الابناء من الأجنب أبناء زنا^(٩).

وتقاليد الزواج من الأقرب كانت تقاليد شائعة بين البدو الساميين ولكن الرغبة في عدم الزواج بالأجنب اختلفت عند البدو العرب عنها عند البدو العبريين . وفي كثير من الأحيان كانت الضرورة تحتم الزواج من الشعوب المحيطة. ولكن الحاخامات اعطوا هذه التحريمات طبيعة لاهوتية بعيدا عن الواقع الاجتماعي لحياة العبريين . ومن استعراض التاريخ الشفاهي لحياة العرب والعبريين يمكن أن يتضح الخلفيات التي كانت تقف خلف كراهيتهم لهذه الزيجات أو انتشارها وسوف نضرب أمثلة من حياة العرب قبل الاسلام ومن بعض القص التي جاءت في التوراة في العصور القديمة وبعد الاقامة في أرض كنعان وأثناء قيام المملكة وبعد انهيارها.

الزواج الخارجي لدى العرب :

من المستحيل فهم الثقافة العربية أيام الجاهلية القديمة دون التأمل أولا وقبل كل شيء في الشدة المتناهية لشعور العربي العشائري ، بوصفة سمته الرئيسية ، وهي صفة تسمى أحيانا "بالعصبية" وهي تدل على التواري الكامل للفرد في جماعة الميراث الذي تركه الاسلاف، وهو مصدر كل من قوته الجسمانية الخطيرة وعجزه الفكري الكامل .وبعبارة أخرى ليس العربي كفرد خارج دائرة جماعته خاضعا لأي قانون سواء كان مدنيا أو أخلاقيا أو جنائيا . وفي مقابل ذلك فان ممتلكاته وأسرته وحياته نفسها معرضة للخطر الى الأبد الا في اطار تلك الجماعة. فهو بوصفة حارثا على أرث عشيرته يتمسك بسجل الماضي .يحدده أساسيا السجل التاريخي لعشيرته وحدها. وقد يصل شعورة السلالي الى بطارقة عرب الشمال "عدنان ،مضر، ربيعة" ولكنة لا يذهب أبعد من هؤلاء الآباء .وهو كحامل لدم أسلافه ويسالتهم الحرية يقبل كقضية مسلم بها مجد وهيبة سجلهم الماضي ، ومن ثم لا يستطيع أن يعلل أي خلل ومصيبة وردت في ذلك السجل الا بالتسليم بأنها محكومة بالدهر أي بقدر أعمى لا يمكن مقاومته^(١٠)

احتفظ الساميون منذ أقدم العصور بنظام العشيرة .وما القبيلة في الحقيقة الا مجموعة من العشائر رأوا ما في حكمها مثل :العماثر ، الأفخاذ، البطون. وكلها بمعنى واحد ،والفرق بينها أنها كانت تختلف فى الحجم وفى درجة بعدها من الجد الأعلى . والعشيرة هي أصغر وحدة سياسية وأهمها عند الساميين .وقديما كانت تعرف باسم "حي" وكانت كلمة حي تطلق على الجماعة التي يمت بعض أفرادها البعض بصلة الدم ،وكأنها كانت مشتقة من الحياة ،لاعتقادهم أن لأعضاء الحي حياة واحدة لما يجرى في عروقهم من دم واحد يشتركون فيه . وكان الحي يتألف من عدد من البيوت يطلق على كل منها الدار ، فلما كثرت هذه البيوت وامتدت أطرافها أخذت نفس المعنى القديم من كلمة حي وهو القرابة وأصبحت الكلمة تدل على الاقليم ومكان السكنى وأصبح سكان الحي هم الذين يعرفون باسم العشيرة .

ومن ثم نرى أن العشيرة السامية هي جماعة اقليمية تتألف من عدة بيوت أو أسر وتقطن حيا واحدا أى اقليما واحدا ،وكان لكل حي أو جماعة من الأحياء مرعاه الخاص بها وماؤها الخاص بها لا تعيره غريب الا عرض نفسة للأخطار مالم يستجير بأحد أعضاء الحي أو يدخل في حمايته .وفى داخل الاقليم كانت الأسر تنتقل بحرية من ماء الى ماء .ونظرا لمخاوف الصحراء وقسوة ظروف العيش فيها كان الحي مضطرا أن يعمل كجماعة واحدة فكان يرحل سويا ويقاتل سويا.. وكان جميع أفراده متساوون فى الحقوق والواجبات ،وكان أقدس واجب على الجماعة نحو الفرد المطالبة بدمه ،فهى التي كانت تتأثر له اذا قتل وتدفع عنة الدية اذا قتل وتنفر الى نجدته اذا استغاث^(١١).

فلم تقم أسس الحياة الاجتماعية عند العرب في الجاهلية على حكومة منظمة أو قانون موضوع بل كانت الأعراف والتقاليد المتوارثة هي التي تراعى بدقة. وكان قانون الثأر والجوار هما الأساس الذى تقوم عليه تقاليد القبائل ،فقد تطورت فكرة القرابة والنسب الى أن أصبحت حقا شرعيا على أدنى مستوى سلالى وهو مستوى العشيرة وقد تبلورت رابطة الدم في قانون الأخذ بالثأر.

وكان اعتزاز العربي بنسبة يرجع الى نسب الأم، فكانت الكثير من القبائل تنتسب الى الأم، فابن الحرّة يصبح حراً وابن الأمة يصبح عبداً حتى لو انتسب الى نفس الأب، وكانت مواعن الزواج الصارمة مقصورة على الأم والأخت من الأم^(١٢) وبزواج العربي من فتاة من عشيرة اخرى قد يتسبب في أن تدفع ذريته الثمن غاليا للوصمة التي وضعها على دمهم وبدفاعه عن عشيرته أو بأخذ الثأر.

والشاعر أحيانا يجد نفسه فريسة لمشاعره المتضاربة بين نكران الذات والتضحية بالنفس بطريقة خالصة، أخذ ثأر الدم لدى قرياه وعشيرته، وقدرته على ممارسة أعمال القسوة الوحشية لانتمائه وشعوره المتدفق بالمحبة والشفقة بدون حدود. ويقع الشاعر في بعض الأحيان فريسة المشاعر. فالشاعر "عروة ابن الورد" رغم أنه كان موضع اعجاب رجال قبيلته نظرا لفروسته التي لا حدود لها ولدهائه الشعري، كان مضطرا لتحمل الكثير من الألم لأنه كان منحدر من زواج من خارج القبيلة، من قبيلتي عبس ونهد، وكان رفاقه العباسيين يوبخونه دائما لأن والدته كانت غريبة وأجنبية. وانحدر والدته من قبيلة نهد حرمة من مجددة السلالي الذي كان يسعى البية. وأصبح في يأس قائلا: أنه يتمنى أن يكون عبدا ابن عبد. وقدر للشاعر ملاس عم طرفة الأعظم منة شهرة أن يعيش في بؤس وعزلة لأنه منحدر من زواج مختلط اذ كان والده ينتمي لبني ربيعة في حين كانت أمة تنتمي لبني يشكر، ولم تعترف به أي من القبيلتين اعترافا كاملا بأنه من سلالتها، أما هو نفسه فكان يضمم قدرا مساويا من الولاء لكل منهما^(١٣)

القرابة الصناعية

حدث أثناء التطور الاجتماعي أن اندمجت في مثل هذه الجماعات بعض عناصر غريبة أما بالجوار واما بالتبني أو الولاء ومن ثم نشأت الأخوة الصناعية وصارت تصارع الأخوة الطبيعية القائمة على علاقة الدم. وكان أعضاء العشيرة الواحدة حتى المنتسبون اليها بالجوار يعتبرون أنفسهم جسم واحد ولحما ودما والفرق الوحيد أن دية الحليف كانت نصف دية الصريح .

لقد كانت قبائلهم لكثرة شنهم الغارات وطلبهم الثأر ووقوع العداء والبغضاء فيما بينهم وبعض تحتاج القبيلة لحفظ كيائها أن تتحالف مع قبيلة أو أكثر حسبما تقتضي حاجتها الى البقاء أو رغبة في الانتصار أو الصلح بعد النضال وفي بعض الأحيان كان يتم الزواج بين قبيلتين وكانت القبيلة الأقوى تتزوج نساء القبيلة الأقل قوة ومكانة . وكانوا يغمسون أيديهم في الدم أو خلوق أو رب أو غير ذلك عند الحلف كناية عن صبغهم بصبغة واحدة وكانوا يتعاقدون عند النار . فمن التحالف بغمس الدم ما كان من تحالف قبائل عبد الدار و مخزوم و عدى و سهم و جمح ، فانهم عندما تحالفوا على الا يتخاذلوا و لا يسلم بعضهم بعضا أخرجوا جفنة مملوءة دم جزور نحروها وقالوا من أدخل يده في دمها فعلق منة فهو منا ففعلوا ذلك فسموا لعقة الدم لذلك^(١٤)

وفي كتاب الحيوان للجاحظ ذكر أنهم كانوا لا يعقدون حلفهم الا عند النار فيذكرون عند ذلك منافعها ويدعون للآلة بالحرمان والمنع عن مناقبها على الذى ينقض عهد الحلف ويحنث بالعهد وكانوا يقولون "دمى دمك وهدمي هدمك "أي ما هدمت من الدماء هدمته أنا.

فمنع الزواج الخارجي لدى العربي القديم كان خوفا من تشتت ولاء الأبناء في حالة المطالبة بالثأر أو قتال القبائل الاخرى. وبعد أن تحولت المجتمعات البدوية الى الاسلام واستقروا في المجتمعات الزراعية كان الدافع من الزواج الداخلي هو المحافظة على ملكية الأرض داخل الأسرة.

الزواج بالأجانب لدى العبريين القدماء

ان مصادرنا عن حياة العبريين القدماء هي الأساطير والقصص التي جاءت في العهد القديم عن الآباء العبريين القدماء. ويقدم لنا العهد القديم حياة العبريين القدماء باعتبارها رحلة متواصلة للدفاع عن عقيدة العبريين التي اختلفت عن عقيدة الشعوب الذين يعيشون بينهم . فتهاجر الأسرة الى مكان آخر .

والأسرة تضم الزوج والزوجة والأولاد وأبناء الأبناء والسراري والعبيد وأبنائهم. والأم لها أهمية كبيرة في تحديد مكانة الأسرة، فالأسباط الاثني عشر تنقسم على أساس الانتماء الى ليثة وراحيل وجاريتها زلفة وبله، والنسل الذي يخرج من المحظيات قد يكون له تأثير على هجرة الأسرة من موطنها الأصلي نتيجة لرفض الأسرة القديمة الاعتراف بهذا النسل. والأسباط التي تنتمي الى راحيل تفوقت على بقية الأسباط الأخرى بسبب ما كان لراحيل من مكانة ولفس السبب تفوق يعقوب على عيسوا.

فالأم هي التي تحدد انتماء اليهودي حتى لو كان لها ابنان توأمان فقد جعلت راحيل من يعقوب حاملا لاسم الأسرة واستبعدت توأمة عيسوا. فالقصص رغم انها تقدم صورة واقعية عن حياة العبريين القدماء، الا ان المؤلف جعل من شخصيات قصصه رموز عديدة فبعضها يرمز الى اليهود والآخر يرمز للكنعانيين، واستخدم الزواج والطلاق ليدل على الاندماج أو الانفصال عن الشعوب التي عاش بينها اليهود.

وغالبا كانت الأسرة تنفصل عن القبيلة الأصلية وتهاجر في جماعات قليلة وتخرج من موطنها الأصلي في العراق وتتوجه الى الصحراء ثم تستقر في أرض كنعان ثم تهاجر الى مصر بسبب الجفاف وفي أرض مصر تتحول الى أسرة كبيرة وغنية وتعاود الكرة مرة أخرى فتخرج الى الصحراء ثم الى أرض كنعان ولكنها في معظم الحالات لا تعود الى الاستقرار في العراق الا في بعض الحالات النادرة حين فر يعقوب من وجه أخيه عيسوا فأرسلته أمة الى بيت أخيها لابان.

وسوف نقدم نموذج قديم وهي أسرة ابراهيم (تكوين ١٣)

ولد تارح أبرام، ونحاور، وحران، وولد هاران لوطا. ومات هاران قبل تارح أبية في أرض ميلاده في أور الكلدانية. وأخذ أبرام ونحاور لأنفسهما أمارتان، اسم امرأة ابرام ساراي، واسم امرأة ناحرو ملكة بنت حاران أبي ملكة وأبي بسكة، وكانت ساراي عاقرا ليس لها ولد. وأخذ تارح ابرام ابنة ولوطا ابن ابنة وساراي كتنه أمراه ابرام ابنة فخرجوا معا من أور الكلدانيين ليذهبا الى أرض كنعان. فأتوا الى حران وأقاموا هناك، ومات تارح في حران. ثم

اجتاز ابرام الى شكيم الى بلوطة مورة وكان حينئذ في الأرض. ثم نقل الى الجبل شرقي بيت ايل ونصب خيمته. ثم ارتحل ابرام ارتحالا متواليا نحو الجنوب. وحدث جوع في الأرض فانحدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديدا.

زواج ساراي من فرعون مصر (١٣: ١١)

وحدث لما اقترب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته. أني علمت أنك امرأه حسنة المنظر، فيكون اذا رآك المصريين أنهم يقولون هذه امرأته، فيقتلونني ويستبقونك، قولي انك اختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك. فحدث لما دخل ابرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المرأة الى بيت فرعون. فصنع الى ابرام خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير واماء واتن وجمال.

طلاق ساراي من فرعون مصر (تكوين ١٥)

فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب سراي امرأة ابرام. فدعا فرعون ابرام وقال ما هذا الذى صنعته بي لماذا لم تخبرني أنها امرأتك، لماذا قلت هي اختي، حتى أخذتها لي لتكون زوجتي. والآن هو ذا امرأتك خذها واذهب، فأوصى عليه فرعون رجالا فتيعوه وامراته وكل ما كان له. فصعد ابرام من مصر هو وامراته وكل ما كان له ولوط الى الجنوب الى بيت ايل. وكان الكنعانيون والفرزيون حينئذ ساكنين في الأرض. ثم افترق عن لوط وسكن عند بلوطات ممرا التي في حبرون التأموري وكان صاحب عهد مع ابرام، ثم عق دعه مع ملك سدوم وملكى صادق وملك شليم.

فعلاقة سارة مع ابراهيم علاقة مزدوجة كأخت وزوجة فقد ذكر أنها اخته من أبية. وكان العالم فنكشر Winkler هو صاحب الرأي القائل بان العلاقة المزدوجة بين سارة وابراهيم كزوجة وأخت تنبع من الأساطير فدور ابراهيم مماثل لدور الاله تموز أو أدونيس في علاقته باستير. فسارة في الحقيقة هي أستير أو عشتار البابلية وأبيها هو تيرج او يرح أي القمر، وكل من أسماء سارة وابراهيم قد ذكرت في الألواح

البابلية. ولكن هذا الرأي لم يقبله كثير من الباحثين الذين اعتبروا كلا من سارة وابراهيم شخصيات تاريخية وأن العلاقة بين سارة وابرام هي رمز للوحدة بين القبائل فسارة تمثل أما حقيقية للإسرائيل حيث جاء في (أشيعا ٥١ : ٢) "وانظروا الى ابراهيم أبيكم والى سارة التي ولدتكم" والاسم ساري الذي جاء في المصدر الكهنوتي هو الشكل القديم لاسم سارة الذي يعنى أميرة وحسب ولدكة وحسب تقدير روبرت سميث يعنى ملكة وكل من الأسماء سارة، إسرائيل لها نفس الأصل الأسطوري الذي يمكن أن نجدة للأسماء مثل ابراهيم، اسحق يعقوب^(١٥).

وترجع بعض الآراء ابراهيم الى أنه معاصرا لحاكم العراق العبقرى حمورابي (٢١٢٣-٢٠٨١ من بدأ الخليقة) (١٧٩٢-١٧٠٥ ق.م) حين أصبحت بابل عاصمة الامبراطورية الأولى البابلية. وقد عاش في ظل الحضارة البابلية ولكنة كان نموذجا للشيخ البدوي فقد كان يجلس على باب خيمته ويستقبل الضيوف المسافرين وكان عاطفيا وتقترن عواطفه بالرحمة والعدل فكان يصلى لله في تواضع ويصرخ في صلواته من أجل المدن الشريفة.

ويقول عالم الفولكلور "جو نقييل" :يمكن أن نستخلص من الأساطير تاريخا كاملا للأخلاق، وكثير من الأساطير انتقلت من أجل البهجة والسرور التي أثارها شخصيات الآباء فان أشياء كثيرة نجدها في هذه الشخصيات تبدو لنا عيوباً أخلاقية، ولكنها لم تكن مزعجة في العصر الذي وردت فيه تلك القصص لأول مرة ولم يكن ممكناً للكاتب ان يتجاهل ادوار الخداع التي وردت من الآباء، وهذه القصص قد أعيد صياغتها في فترات متأخرة في محاولات لحذف ما بها من عيوب ما أمكن ..

وعلى العكس يقول "لخت" ويتفق معه في الرأي رابي "يوسى" كان في امكان مؤلف قصص الآباء ان يجعلهم صديقين وخالين من كل عيوب البشر ولكنة رفض أن تكون شخصياته بهذه السطحية.^(١٦)

ان قصة زواج سارة من فرعون مصر ترمز الى تحضر العبريين البدو واندماجهم في الحضارة المصرية . وقصة طلاق سارة من فرعون مصر ترمز الى خصوصية العقيدة العبرية

واختلافها عن المعتقدات المصرية . فقد وظفت قصص الشتات لتدل على التحضر التدريجي الذى اكتسبته القبائل العبرية التي عاشت على هامش الحضارات ولم تندمج فيها اندماجا كاملا ولكنها اكتسبت بعض العادات من تلك البلاد مثل عادة الختان التي نقلتها اسرة ابراهيم من مصر .

وقد كرر كاتب سفر التكوين ٢٠ سلوك ابراهيم مع سارة عندما ذهب ابراهيم ليسكن بين قادش وشور في جرار (وقال ابرهم عن سارة امرأته هي أختي فأرسل أيمالك ملك جرار وأخذ سارة فجاء الله الى أيمالك في حلم الليل وقال له ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فأنها متزوجة ببعل) فالقاص أضاف هذا الجزء عن منع هذا الزواج من ايمالك لكي يؤكد على عدم اختلاط العبريين بالكنعانيين . والقاص الشعبي يصيغ هذه الرموز في اطار التقاليد الواقعية في العصور القديمة حيث كانت تقدم نساء جميلات الى الملوك كهدايا لاكتساب ودهم . كما أن هذا السلوك المناقض للشخصيات المقدسة يعد ضرورة من ضروريات العمل القصصي الشعبي الذى يجمع بين التناقضات الحادة في السلوك لكي يشد انتباه المستمعين ويثير دهشتهم .

زواج ابراهيم من هاجر المصرية

فأما سراي أمراه أبرام فلم تلد له . وكانت لها جارية مصرية أسمها هاجر . فقالت سراي لأبرام ، هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة ، ادخل على جاريتي لعلى أرزق منها بنين . فسمع ابرام لقول ساراي . فأخذت ساراي أ مرأته هاجر المصرية جاريتها ، من بعد عشر سنين لا قامة ابرام في أرض كنعان ، وأعطتها لا أبرام رجلها زوجة له . فدخل على هاجر فحبلت . ولما رات أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها . فقالت ساراي لا أبرام : ظلمي عليك . أنا دفعت جاريتي الى حضنك فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينيها . يقضى الرب بيني وبينك .

فقال ابرام لسراي ، هوذا جاريتك في يدك افعلى بها ما يحسن في عينيك . فأذلتها ساراي . فهربت من وجهها ، فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور . وقال يا هاجر جارية سراي من أين تذهبين . فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي .

فقال لها ملاك الرب ارقعي الى مولاتك واخضعي تحت يدها، وقال لها تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة، وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه اسمعيل لأن الرب قد سمع لمزلتك . وأن يكون انسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع أخوته يسكن. فدعت اسم الرب الذي تكلم معها نت ايل ربي " لأنها قالت أنا أيضا رأيت رؤية . لذلك دعت البئر " بئر لحي ربي" بين قادش و بارد. فولدت هاجر اسمعيل، وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسمعيل لا برام.

القصة تقدم لنا صورة تبين أرض مصر الخصبة وأرض كنعان المجذبة فهاجر هي رمز لمصر وعقم سارة يرمز لعقم أرض كنعان . ولكن القصة تقدم في اطار الثقافة البابلية التي تجعل الجارية ملك للزوجة ولها الحرية الكاملة في التصرف بها حتى لو أنجبت من زوجها، والكاتب يؤكد ذلك من خلال تكراره العبارة "هاجر جارية سراي" كما يكرر ان الابن سوف يكون ابنا لسارة وأن ابراهم رجل سارة . كما يؤكد التقاليد المصرية في عادة ختان الذكور فأبراهم يخن اسماعيل وختن نفسه في نفس اليوم ، ويقدم الختان باعتباره علامة العهد مع الرب وأن هذه العادة هي التي تفرق بين الشعوب الكنعانية وبين العبريين.

طلاق هاجر

وقال الله لأبرهم سراي امرأتك لا تدعو اسمها سراي بل أسمها سارة وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون . فسقط ابرهم على وجهه وضحك . وقال في قلبه هل يولد لابن مائة سنة ، وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة ، وقال ابرام للآلة ليت اسمعيل يعيش أمامك . فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق وأقيم عهدي معه عهدا أبديا لنسله من بعدة . افتقد الرب سارة كما قال وفعل لسارة كما تكلم . فحبلت وولدت لابراهيم ابنا في شيخوخته في الوقت الذي تكلم الله عنه . ودعا ابراهيم اسم ابنة المولود له الذي ولدته له سارة اسحق وختن ابراهيم ابنة وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله .

ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لإبراهيم يمزح ، فقالت لابراهيم اطرده هذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق. فقبح الكلام جدا في عيني أبرهام لسبب ابنة. فقال الله ابرهم لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك . في كل ما تقول سارة اسمع لقولها لأنه بإسحق يدعى لك نسل ، وأبن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك.

فبكر ابرهم صباحا وأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعا اياها على كتفها والولد وصرفها. فمضت وتاهت في بركة يثر سبع، ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت احدى الأشجار ومضت وجلست مقابلة بعيدا نحو رمية موسى ، لانها قالت لا أنظر الى موت الولد. فجلست مقابلة ورفعت صوتها وبكت . فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء ، وقال لها الملاك يا هاجر لا تخافي لأن الله سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومي أحملي الغلام وشدي يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة ، وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء فذهبت ملأت القربة ماء وسقت الغلام .

وكان أن الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس وسكن في بركة فاران. وأخذت له أمة زوجة من أرض مصر.

قصة طلاق هاجر من ابرهم ترمز الى استقلال العقيدة اليهودية عن عقائد المصريين ، وابرهم يسمع لرأى سارة فسارة هي رمز لإسرائيل . والقصة تعكس تأثير الحضارة المصرية في أرض كنعان. وتؤكد أن اليهودي يجب أن يأتي من المرأة اليهودية.

زواج يوسف من مصرية

عندما قام يوسف بتفسير حلم فرعون حسن الكلام في عيني فرعون وفي عيون جميع عبدة. فقال فرعون ليوسف :بعدهما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك، أنت تكون على بيتي وعلى فمك يقبل جميع شعبي ،قد عينتك على كل أرض مصر ،وخلع فرعون

خاتمة من يده وجعله في يد يوسف ، وألبسة ثياب بوص ووضع طوق ذهب في عنقه وأركبه على مركبته الثانية ونادوا أمامه اركعوا . وجعله على كل أرض مصر . وقال فرعون ليوسف أنا فرعون فبدنوك لا يرفع انسان يده ولا رجلة في أرض مصر . ودعا فرعون اسم يوسف "خامنات فعنخ" وأعطاه آسنات بنت فوطي فارع كاهن أون زوجة فخرج يوسف على أرض مصر . وكان يوسف ابن ثلاثين سنة لما وقف أمام فرعون مصر ، فخرج يوسف من أمام فرعون واجتاز في كل أرض مصر . وولد ليوسف ابنان قبل أن تأتي سنة الجوع ولدتهما لآسنات بنت فوطي فارع كاهن أون . ودعا يوسف اسم البكر منسى قائلا لأن الله أنساني كل تعبى وكل بيت أبى ، ودعا اسم الثاني أفرايم وقال لأن الله جعلني مثمرا في أرض مذلتى .
هذه القصة ترمز الى الاندماج الكامل فى الثقافة المصرية فيوسف يرتدى الملابس المصرية وتخلص من كل الصلات مع الثقافة البدوية .

زواج موسى (الخروج ٢)

عندما قتل موسى المصري هرب من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وعند البئر التقى بنات كاهن مديان . وكان لكاهن مديان سبع بنات فأتين ليستقين ويمالأن الجرار ليستقين غنم أبيهن ، فأتى الرعاة وطردهن ، فنهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن . فلما أتى الى رعوثيل أبيهن قال ما لكن أسرعتن في المجيء اليوم . فقلن "رجل مصري" أنقذنا من أيدي الرعاة ، انه أستقى لنا أيضا وأستقى الغنم . فقال لبناته وأين هو لماذا تركو الرجل ادعيه ليأكل طعاما . فارتض موسى أن يكون مع الجمل ، فأعطى موسى صفوره ابنته فولدت أبنا فدعا أسمة جرشوم لأنه قال كنت نزيلا في أرض غربتي .

شكلت مصر تيمة أساسية فى كل قصص العهد القديم الى تحكى عن حياة العبريين قبل الدخول الى أرض كنعان . فالقص تحكى عن الحنين الى مصر والرغبة في العيش بها وفى نفس الوقت الأمل فى الهروب منها . وهذه القصص تقدم الهروب من مصر كرمز لنقاء العبادة اليهودية من العقائد المصرية .

قصص الزواج بالأجانب بعد الدخول الى أرض كنعان

ان العبريين عندما دخلوا أرض كنعان كانت تلك البلاد تغمرها الثقافة البابلية ولم تكن أكثر من مملكة بابلية عندما تعرضت للغزو العبري . كما ان التأثيرات المصرية كانت قد استقرت هناك بنفس الدرجة . وكانت اللغة الآشورية هي لغة الدولة الأدبية وكانت تتفوق على اللغة الكنعانية . فقد تعرضت البلاد للتأثيرات البابلية في عهد حمورابي سادس ملوك الامبراطورية البابلية ، كما تعرضت للتأثيرات المصرية في عهد تحتمس الثالث ورمسيس الثاني وسيشلق الأول . وكانت البلاد مفتوحة للحضارة المصرية منذ أقدم العصور وكان يأتي الى كنعان موجات مختلفة من شعوب البحر الأبيض المتوسط ومن شرق آسيا منهم الحيثيين وتستقر في البلاد بأعداد وفيرة وتترك أثارها في السلوك ونظم الأسماء وفي الفنون والحرف والنظم الدينية والاقتصادية.

وفي هذه الفترة بدأت القبائل العبرية تتحول بالتدريج من حياة الرعي الى العمل بالزراعة والتجارة ولكنهم احتفظوا بتنظيماتهم القبلية القديمة . وقدم سفر القضاة صورة عن حياتهم الاجتماعية في تلك الفترة.

من خلال بعض الشخصيات مثل شخصية شمشون . فقد قدم لنا السفر شمشون كأحد القضاة الذين اختيروا على يد يهو لكي يقظ العبريين من يد الفلسطينيين . ولكن القصص صورته كشخصية طائشة يطارد النساء الفلسطينيات طوال الوقت .

زواج شمشون من تمنه (القضاة ١٤-١٣)

وكان رجل من صرعة من عشيرة الدانين أسمة منوع و أمراته عاقر لم تلد . فتراعى ملاك الرب للمرأة وقال لهاها أنت عاقر لم تلدى ولكنك تحبلين وتلدين ابنا . والآن فاحذرى ولا تشربي خمرا ولا مسكرا ولا تأكلي شيئا نجسا ، فها انك تحبلين وتلدين ابنا ولا يعل موس رأسه لأن الصبي يكون نذير الله من البطن وهو يبدأ يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين . فولدت المرأة أبنا ودعت اسمة شمشون . فكبر الصبي وباركة الرب وابتدأت روح الرب تملكه في محلة دان بين صرعة وأشاول .

ونزل شمشون الى تمنه ورأى من بنات الفلسطينيين ، فصعد وأخبر أبوة وأمة وقال : قد رأيت أمراه في تمنه من بنات الفلسطينيين والآن خداه لي أمراه . فقال له أبوة وأمة أليس في بنات أخوتك وفي كل شعبي أمراه حتى أنك ذاهب لتأخذ أمراه من الفلسطينيين الغلف . فقال شمشون لأبوة أياها خذ لي لأنها حسنت في عيني . فنزل شمشون وأبوة وأمة الى تمنه وأتوا الى كروم تمنه .

وإذا بشبل أسد يزمرج للقائه ، فحل عليه روح الرب فشقة كشق الجدى وليس في يده شيء ولم يخبر أبوة وأمة بما فعل . ونزل وكلم المرأة فحسنت في عيني شمشون . ولما رجع بعد أيام لكي يأخذها مال لكي يرى رمة الأسد ، فاذا دبر من النحل في جوف الأسد مع عسل ، فأشتر منة على كتفة وكان يمشى ويأكل وذهب الى ابوة وأمة وأعطاهما فأكلا ولم يخبرهما أنه من جوف الأسد أشتار العسل .

ونزل أبوة الى المرأة فعمل هناك شمشون وليمة ، لأنه هكذا كان يفعل الفتيان . فلما راوه أحضروا ثلاثين من الأصحاب فكانوا معه . فقال لهم شمشون لأحايينكم أحجية فاذا حللتموها لي في سبعة أيام الوليمة وأصبتموها أعطيتكم ثلاثين قميصا وثلاثين حلة ثياب ، وان لم تقدرها لي تعطون أنتم ثلاثين حلة وثلاثين قميصا . فقالوا حاجي أحجيتك فنسمعها . فقال لهم من الآكل خرج أكل ، ومن الجافي خرجت حلاوة . فلم يستطيعوا أن يحلوا الأحجية في ثلاثة أيام ، وكان في اليوم السابع أنهم قالوا لامرأة شمشون تملقي رجلك لكي يظهر لنا الأحجية لئلا نحرقك وبيت أبيك بالنار .

فأتيت أمراه شمشون لدية وقالت انما كرهتني ولا تحبني ، قد حاجيت بنى شعبي أحجية وأياي لم تخبرني . فقال لها هو ذا أبى وأمي لم أخبرهما فهل اياك أخبر ، فبكت لدية السبعة الأيام التي كانت لهم الوليمة ، وفي اليوم السابع أنه أخبرها لأنها ضايقتة . فأظهرت الأحجية لبنى شعبيها . فقال له رجال المدينة في اليوم السابع قبل غروب الشمس : أي شيء أحلى من العسل وما أجفى من الأسد . فقال لهم لو لم تحرثوا على عجلتي لما وجدتم أحجيتي . وحل عليه روح الرب فنزل الى أشقلون وقتل منهم ثلاثين رجلا وأخذ ملبسهم

وأعطى الحلل لمظهري الأحجية، وحمى غضبة وصعد الى بيت أبيه. فصارت أمراه شمشون لصاحبة الذي كان يصاحبه.

ذهاب شمشون الى بيت زانية من غزة

ثم ذهب شمشون الى غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل اليها وهناك يحاصره الفلسطينين ويحاولون قتلة ولكنة يأخذ مصراعي باب المدينة والقائمتين على كتفيه ويصعد الى رأس الجبل مقابل حبرون فلا يقدرن عليه.

زواج شمشون من دليلة

وكان بعد ذلك انه أحب أمراه في وادي سورك أسمها دليلة. فصعد اليها أقطاب الفلسطينين وقالوا لها تملقيه وانظري بماذا قوته العظيمة وبماذا تتمكن منة لكي نوثقه لا ذلالة فنعطيك كل واحد ألفا ومائة شافل فضة. فقالت دليلة لشمشون أخبرني بماذا قوتك العظيمة. وبعد عدة محاولات يخدعها فيها شمشون ولا يفصح لها عن سر قوته الحقيقية وفي كل مرة يفشل الفلسطينين في التغلب عليه، ولكن دليلة تواصل الضغط عليه حتى أنه في النهاية ييوح لها بان قوته في شعرة الذي لم يمسه موس فتخبر الفلسطينين بسر قوته. فأخذوه وقلعوا عينيه ونزلوا به الى غزة وأوثقوه بسلاسل نحاس وذبحوا ذبيحة عظيمة لداجون الههم.

وبعد أن بدأ شعرة ينبت، دعوا شمشون من بيت السجن واجتمعوا في المعبد وفكوا قيوده وطلبوا منة أن يلعب أمامهم فلعب أمامهم وأوثقوه بين العمودين المتوسطين اللذان كان البيت قائما عليهما فأستند عليهما الواحد بيمنية والآخر بيسارة. وقال شمشون لتمت نفسى مع الفلسطينين وانحنى بقوة فسقط البيت على الأقطاب وعل كل الشعب الذي فيه، فكان الموتى الذين أماتهم في موتة أكثر من الذين أماتهم في حياته. فنزل أخوته وكل بيت أبيه وحملوه وصعدوا به ودفنوه بين صرعة وأتشاوول في قبر منوح أبيه، وهو قضى لإسرائيل عشرين سنة.

ان قصة شمشون تظهر تأثيراته الأدب الإغريقي فقد صور مثل هرقل ويبدو أن القصة ترجع الى زمن متأخر بكثير عن عصر القضاة فالقصة يظهر بها الطابع اللاهوتي الوعظي الذي يتبعه الحاخامات في التحذير من زواج الفلسطينيين .

الزواج بالأجانب في عصر المملكة

يعد عصر داود وسليمان من: أكثر العصور انفتاحا على الثقافات الأخرى وهذا يعكسه قصص الزواج العديدة من الأجانب وقد كان داود حفيد روث المؤابية وسليمات ابن بت شفع الحثية.

زواج داوود من بت شفع (صموئيل الثاني: ١١-١٢-١٣)

وكان عند تمام السنة وقت خروج الملوك أن داود أرسل يوآب وعبيدة معه وجميع اسرائل فأخرجوا بني عمون و حاسرو واربة، وأما داود فأقام في أورشليم.

وكان في وقت المساء أن داود قام من سريرة وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح أمراه تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا ، فأرسل داود وسأل عن المرأة ، فقال واحد أليست هذه بت شفع بنت ألي عام أمراه أوريا الحثي . فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت الية فاضطجع معها وهي طاهرة من طمئتها، ثم رجعت الى بيتها فحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت اني حبلت.

فأرسل داود الى يوآب يقول : أرسل الى أوريا الحثي ، فأرسل يوآب أوريا الى داود فأتى أوريا الية ، فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب. وقال داود لا وريا أما جئت من السفر فلماذا لم تنزل الى بيتك . فقال أوريا لداود : أن التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون الخيام وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء وأنا آتى الى بيتي لأكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي، وحياتك وحيوة نفسك لا أفعل هذا الأمر . فقال داود أقم هذا اليوم أيضا وغدا أطلقك. فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغدة . ودعاة داود فأكل أمامه وشرب وأسكره . وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيدة والى بيته لم ينزل.

وفي الصباح كتب داود مكتوبا الى يوباب -وأرسله بيد أوريا- وكتب في المكتوب يقول : اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائية فيضرب ويقتل . وكان في محاصرة يوباب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه ، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوباب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضا . فأرسل يوباب وأخبر داود بجميع أمور الحرب . فلما سمعت أمراه أوريا أنه مات أوريا زوجها نذبت بعلها ، ولما مضت المناحة أرسل داود وحملها الى بيته وصارت له أمراه وولدت له ابنا .

وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب فأرسل الرب ناثان الى داود . فجاء الية وقال : كان رجلان في مدينة واحدة واحد منهما غني والآخر فقير . وكان للغني غنم وبقر كثير جدا وأما الفقير فلم يكن له شيء الا غنمة واحدة صغيرة قد اقتناها ورباها وكبرت معه ومع بنية جميعا تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنة وكانت له كابنة . فجاء ضيف الى الرجل الغني وعفا أن يأخذ من غنمة ومن بقرة ليهيئ للضيف الذي جاء الية فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيا للرجل الذي جاء الية . فحمى غضب داود على الرجل جدا وقال لناثان : حي هو الرب أنه يقتل الرجل الفاعل ذلك ويرد النعجة أربعة أضعاف لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يشفق . فقال ناثان لداود : أنت هو الرجل . قد قتلت أوريا الحثي بالسيف وأخذت أمراته لك وأياه قتلت بسيف بني عمون . والآن لا يفارق السيف بيتك الى الأبد لأنك احتقرتني وأخذت أمراه أوريا الحثي لتكون لك أمراه .

وضرب الرب الولد الذي ولدته أمراه أوريا لداود فثقل . فسأل داود الله من أجل الصبي وصام داود صوما ودخل وبات مسطحا على الأرض . فقام شيوخ بيته عليه ليقيموه عن الأرض ، فلم يشأ ولم يأكل معهم خبزا .

وكان في اليوم السابع أن الولد مات فخاف عبيد داود أن يخبروه أن الولد قد مات . قالوا هذودا لما كان الولد حيا كلمناه فلم يسمع لصوتنا ، فكيف نقول له قد مات الولد يعمل أشر . وراي عبيدة يتنامون ففطن أن الولد قد مات ، فقال داود لعبيدة هل مات الولد ، فقالوا مات . فقام داود عن الأرض واغتسل وأدهن وبدل ثيابه ودخل بيت الرب وسجد ثم جاء الى

بيتة وطلب فوضعوا له خبزاً فأكل. قال له عبيدة: ما هذا الأمر الذى فعلت. لما كان الولد حياً صمت وبكيت ، ولما مات الولد قمت وأكلت خبزاً. قال لما كان الولد حياً صمت وبكيت لأنى قلت من يعلم ربما يرحمني الرب ويحيا الولد. والآن قد مات فلماذا أصوم هل أقدر أن أردّه بعد، أنا ذاهب الية وأما هو فلا يرجع الى. وعزى داود بتشفع أمراته ودخل إليها واضطجع معها فولدت ابناً فدعا أسمة سليمان والرب أحبه.

ان القصة تقدم لنا شخصية داود المحنك سياسياً الذى استطاع بدهائه السياسى ان ينعز الملك عن بيت شاؤول رغم أنه لم يكن مهياً لذلك من الناحية الاجتماعية. ويتحالف مع الفلسطينيين ليحارب شاؤول ويجعلهم يستولون على تابوت العهد ويضعونه في بيت داجون الة الفلسطينيين . ولا يتورع عن اخذ زوجة أحد جنوده لأنه اشتهاها ويدبر خطة لقتله. وهو ابن اللحظة لا يضيع أي متعة على نفسه وهو في نفس الوقت شخصية مرحة يرقص ويغنى ويعزف على الآت الموسيقية امام تابوت العهد الذى استرده من الفلسطينيين. وهو السياسى المحنك الذى وحد قبائل الشمال والجنوب. فقد اراد كاتب القصة أن يقدم شخصية واقعية تشد انتباه السامعين. ولكن القصة ترمز الى الصراع بين التقاليد الأخلاقية القديمة للبدو العبريين والفساد والانحلال الأخلاقى الذى صاحب اقامة المملكة وهذا الصراع مثلثة شخصية ناثان المعارضة لتصرفات داود الأخلاقية.

زواج سليمان (الملوك الأول ١١: ٨-١١)

تزوج سليمان من ابنه فرعون ولكنة أيضا تزوج من ملكة سبأ . وأحب الملك سليمان نساء غريبات كثيرة مع بنت فرعون. موآبيات ، و عمونياك ، وأدميات ، وصيدونيات ، وحيثيات. من الأمم التى قال عنهم الرب لا تدخلوا اليهم وهم لا يدخلوا اليكم ألا يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. وكان له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري. فأمالت نساؤه قلبه ، وكان في زمان شيخوخته أن النساء أملن قلبه وراء آلهه اخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود أبية. فذهب سليمان وراء عشتروت الهة الصيدين ، وأكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان

الشر ففي عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبية . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكوش رجس الموآبين على الجبل الذى تجاه اورشليم ولمولك رجس بنى عمون . هكذا فعل لجميع نسائية الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحون لآلهتهن .

فالقصة السابقة تجعل انهيار المملكة وانقسامها يرجع الى الهة النساء الأجنبيات التي ارتبط قلب سليمان بهن . ولكنها في نفس الوقت تقدم صورة عن انفتاح العبريين على سائر الحضارات والشعوب المحيطة بهم في عصر ازدهار المملكة العبرية . وقصة زواج سليمان من ابنة فرعون مصر ترمز الى أن مكانة سليمان كانت مساوية لمكانة فرعون مصر بل أنه تفوق عليه كما تفوق موسى على سحرة مصر فقد كان السحر في العالم القديم أقوى العلوم .

الزواج بالأجنبي في المدارس

انتشر القصة عن المرأة المتهتدية . عن السيدة روث ، وليئة زوجة يعقوب ، ودبورا . وتروى الأحداث عن الملك سليمان الذى أصبح حليف فرعون عن طريق الزواج من ابنته التي تحولت الى اليهودية . وكذلك عن ملكة سبأ التي آمنت بديانة سليمان . وعن الملكة هليلينا التي اعتنقت اليهودية . وعن زواج الرابي عقيبا من زوجة الشرير "نيو فورس" بعد تهودها . ومعظم هذه القصص كانت تروى لليهود في مجتمعات مسيحية أو اسلامية كان من النادر حدوث حالات تحول الى اليهودية بسبب الوضع المتدني لليهود في تلك المجتمعات . ويمكن أن نرى ان الحافز في رغبة المستمعين واملهم وتعزيتهم كانت في المجتمعات التي عاش فيها اليهود كأقليات ، يدفع هذه الفكرة عن الانقلاب الى اليهودية الى الفوز بين المستمعين . ورغم ان الشريعة اليهودية تحرم دخول أي رجل الى اليهودية من أجل الزواج بامرأة أو تحول أي امرأة الى اليهودية بسبب الزواج من رجل ، إلا أن القصة الشعبى لا يعرف هذه الموانع ، وكانت موتيفه الزواج من الديانات الأخرى تقوى الصراع الدرامي في العمل القصصي .

فالنقاء العرقي لليهود كان مجرد حلم تطمح اليه اللاهوتيين ولكن الواقع الاجتماعي لليهود عبر العصور حتم اختلاط اليهود بجميع الشعوب التي عاشوا بينهم.

الهوامش :

- ^١ فان أورينا. شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي . ترجمة محمد أحمد صالح. المجلس الأعلى للثقافة. ٢٠٠٠، ص ٣٤.
- ^٢ راجع سوزان السعيد: المرأة في الشريعة اليهودية. حقوقها وواجباتها. (دراسة مقارنة مع حضارات الشرق الأدنى القديم). عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية. الطبعة الأولى ٢٠٠٥ القاهرة .
- ³ Stanley A. Cook. The laws of Moses and the coed of Hammurabi, London,1903, p20-24
- ⁴ Neuterred E. Ancient Hebrew marriage laws with special reference to general Semite laws and customs. first published, Longmans and Co, London1944, p.5
- ^٥ التكوين (زلمان تامرا. تاريخ نقد العهد القديم. من أقدم العصور حتى العصر الحديث. ترجمة أحمد محمود هويدي. المجلس الأعلى للثقافة. ٢٠٠٠، ص ١٠٥-١٠٦.
- ^٦ عبد الرازق قنديل رشي ومنهجه في التفسير. جامعة الأزهر، كلية اللغات والترجمة 1979 ص ١٣٧-١٤٨.
- ^٧ حاي بن شمعون. الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للاسرائيليين. القاهرة ١٩١٢ الواد ٣٣٩-٤٠٠.
- ^٨ حسن ظا. الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه. معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٤، ص ٢٣٣.
- ^٩ لوין שלמה : החוק נחלת הכלל. מדריך צממני לחוקי המדינה. הוצאת חברה ישראלית תל- אביב 1979 ע, 172 .
- ^{١٠} محمد محمود جمعة. النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية. مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٤٩، ص ١٥٤.
- ^{١١} أحمد صالح العلي. محاضرات في تاريخ العرب. بغداد، ١٩٦٠، الجزء الأول ص ٤٢.
- ^{١٢} جورج زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية. دار الهلال، القاهرة ١٩٥٧، الجزء الأول ١٦٦-١٦٧.
- ^{١٣} أبو الفرج الأصفهاني. الأغاني. مطبعة التقدم القاهرة ١٢٨٥ هـ الجزء ١٩ ص ٧٩.
- ^{١٤} محمد نعمان الجارم. أدين العرب في الجاهلية. الطبعة الأولى مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٢٣. ص ١٨٠.
- ¹⁵ Pritchard James B: Ancient Near Eastern Texts relating to old Testament. New Jersey 1969.pp37-38.
- ^{١٦} תמר אלכסנדר: מחקרי ירושלים בפולקלור יהודי . הוצאת ספרים ע"ש י"ל מגנט האניברסיטה העברית. ע"ד 31.